مقدمة

مقدمة

اليهود والعرب في التاريخ

مقدمـة [1]

لقد أصبح أخيرًا، رغم أسباب التأخير الكثيرة، كتاب الدكتور أحمد سوسة، (العرب واليهود في التاريخ)، هذا الكتاب الفذ العجيب (الذي وصل أصله العربي إلى طبعته الثالثة)، في متناول الباحثين الغربيين وليس الباحثين بمفردهم وإنما غير الباحثين أيضًا، إن أسلوبه الجزل الواضح يرفع من قيمته الأكاديمية وكذلك واقعيته المذهلة، مع كونه يتناول بالبحث عصورًا سبقت التاريخ المسيحي بزمن بعيد، تجعل منه كتابًا وثائقيًا خلابًا يفيد منه جميع المهتمين بتاريخ الشرق الأوسط ولا سيما تاريخ فلسطين.

إنني سميته " عجيبا "، ولا غرو فإن الباحثين الغربيين سيعجبون بالتأكيد من عمق مداركه، واستقامة وصلابة بيانه والموضوعية في طريقة معالجته، وهم ولا شك، سيدهشون أكثر لهذا العرض الغني بالمؤهلات والكفاءات الأكاديمية من ذلك النوع الراقي وتلك الدرجة العالية اللذين لم يكونوا في أغلب الظن، يتوقعون

---

(1) نسخت هذه المقدمة بالأصل، من قبل كاتبها، الدكتور رولف رايخارت، أستاذ الثقافة الإسلامية، والتاريخ الإسلامي، ومدير مركز الدراسات الأفرو - شرقية، في جامعة باهيا الاتحادية - سلفادور - (البرازيل) باللغة الإنكليزية ولما لم تكن قد جرت العادة بعد بأن يقدم لكتاب بغير اللغة التي يكتب فيها فقد طلبنا إلى السيد إلياس بيطار العمل على ترجمتها إلى اللغتين العربية والفرنسية كي تتصدر كل واحدة منها اللغة التي يصدر بها الكتاب بينما احتفظنا بالأصل الإنكليزي ليتصدر ترجمة الكتاب الإنكليزية.
وهذه نبذة عن حياة كاتبها:
ولد الدكتور رولف رايخارت سنة 1914، درس في البدء الهندسة الكيميائية لكنه عاد ودرس بعد الحرب العالمية الثانية الفقه الإسلامي، وتاريخ البلدان الإسلامية، وبنتيجة أطروحته " المسلمون في غويانا " نال درجة أستاذ وعين أستاذًا للعلوم الإسلامية ومديرًا لمركز الأبحاث الأفرو - الشرقية في جامعة باهيا الاتحادية - سلفادور (البرازيل) مجال بحثه العلمي " الأقليات المسلمة في جنوب أمريكا ". حضر عدة مؤتمرات وألقى عدة محاضرات في جماعات باريس، باسل، بازل، غرناطة، مدريد، الرباط، الجزائر، تونس، القاهرة (الأزهر)، دمشق، بغداد، وأخيرًا استنبول، أهم مؤلفاته: " أطلس العالم العربي التاريخي والإقليمي " 1969، الوثائق العربية في مصنفات ولاية باهيا " البرازيل " 1970، تاريخ فلسطين باللغتين الأسبانية والبرتغالية 1972 - 1973، وهو يقوم حاليًا بوضع معجم المفردات الأساسية في لغة البربر من أهل المغرب (المؤلف).

وجودهما في هذا المكان، إن الدكتور أحمد سوسة هو خريج كلية كولورادو في الهندسة المدنية إضافة إلى شهادة الدكتوراه في الفلسفة، بدرجة شرف، من جامعة جونز هوبكنز في الولايات المتحدة الأمريكية [1]. ولذا فإن القارئ سيواجه في شخصه فكرًا نيرًا وعالمًا متبحرًا في تاريخ الشرق الأدنى وعقلاً مدركًا لمدى دقة وحساسية موضوعه، مما حدا به إلى تقييد نفسه تقييدًا تامًا بالطرق الغربية في البحث والتنسيق العلمي. والدكتور أحمد سوسة أيضًا سبق له أن تسلم، لمدة تنيف على الثلاثين عامًا مسؤولية مناصب وإدارات تقنية، على أعلى المستويات في وطنه، جمهورية العراق الحديثة، إضافة إلى كونه مؤلفًا لنحو من ثلاثين كتابًا في الري والجغرافيا، والتاريخ إلخ.. وفي اللغتين العربية والإنكليزية، ولذا فإنه لن يكون من المبالغة في شيء الجزم بأنه لم يصادف طيلة عمله الوظيفي حجرًا واحدًا يستطيع إنباءه بأيّ قدر مهما كان طفيفًا عن تاريخ بلاده، إلا وقلبه مستجليًا إياه ذلك التاريخ، وما المصادر الواردة في الكتاب إلا دليلاً ساطعًا بين مدى وعمق واتساع مطالعاته الأساسية التي سبقت وضع الكتاب.

أما عن العمل الذي تصدى له المؤلف فإنه عمل ضخم هياب، إذ أنه ليس إلا قلب بل تصحيح قضايا تاريخية متوارثة عبر الأجيال أسيء فهمها، وهي ما تزال شائعة بين الناس ومقبولة منهم بفعل التوراة وتأثيرها منذ ما ينيف على الألفين والخمسمائة سنة، وإنه لمن المؤكد أن اكتشاف مدونات الأقوام التي عاشت قبل تدوين أسفار التوراة بزمن طويل، كالسومريين، الأكديين، الكنعانيين، الحيثيين، البابليين، الآشوريين، وأخيرًا المصريين قد دللت، وبما لا يقبل الشك، على أن الكتابات التوراتية (ولا سيما الأسفار الخمسة الأولى) لا يمكن التعويل عليها كمرجع تاريخي حقيقي، وذلك لكون تلك المدونات المكتشفة عاشت الأحداث التي عاصرتها، في حين أن كتابات التوراة تذكر أحداثًا سبقت ظهورها بثمانية قرون بالنسبة لزمن موسى والخروج، وخمسة عشر قرنًا وأكثر بالنسبة لإبراهيم والخليقة، إن هناك عددًا من الكتاب، من بينهم كاتب هذه المقدمة الذين دأبوا على ترجمة التوراة كأحد كتب الأدب، وفي أغلب الأحيان أحد كتب الشعر، من وضع اليهود في بابل الذين مزجوا الصدق بالكذب بصورة عشوائية وطريقة كيفية غايتها تمجيد تاريخهم الخاص باعتبارهم يمثلون " الشعب المختار " من دون

(1) راجع سيرة المؤلف (المترجم).

جميع " شعوب العالم " مما يؤيد حقهم بـ " الأرض الموعودة " [1]، ومع ذلك لم يجرؤ أحد قط، قبل الدكتور سوسة، أن يكشف النقاب عن ذلك الزيف وعدم الانسجام في الخرافات التوراتية بمثل هذا القدر من الدقة والحذاقة والصراحة والصلابة، ونحن الذين كان تعليمنا خاطئًا منذ الصغر، يتوجب علينا مراجعة ما كنا قد تعلمناه، وأن كتاب الدكتور أحمد سوسة يقدم لنا مادة غنية تساعدنا على ذلك، وأكثر من هذا وذاك يتوجب علينا أن نتعلم كيف نعطي الكلمات معانيها الحقيقية كأن نميز على سبيل المثال، بين العبراني والإسرائيلي، والموسوي، واليهودي، فهذه التسميات الأربع التي شاع استعمالها كمترادفات، دون أي تمييز بينها، ليست في الواقع إلا أربعة مصطلحات ترمز إلى أربع جماعات مختلفة، سواء ارتبطت أم لم ترتبط إحداها بالأخرى، عاشت أربعة أزمنة مختلفة ومتباعدة لم تترك أية واحدة منها تراثًا ثقافيًا ولا حضارياً في فلسطين في زمن من الأزمان، إن الكنعانيين (الفينيقيين) هم وحدهم الذين قاموا بهذا الدور الثقافي والحضاري في فلسطين خلال الحقبة السامية بطولها، وقد اقتبس الإسرائيليون ثقافتهم ومدنيتهم ومثلهم فعل الموسويون من بعدهم.

إن السبب الذي يعلل عجز تلك الأقوام، ومن بعدهم اليهود، عن إقامة أيّ حكم مدني دائم في فلسطين المحتلة أو في أي مكان آخر، مشروح شرحًا مفصلاً، في أحد فصول الكتاب الشيقة، وقد أجريت له مقارنة مع الدولة الصهيونية الحديثة ومستقبلها المحتوم، مما يجعله جديرًا بالمطالعة، إن الدكتور أحمد سوسة يتناول هذه المسألة الحساسة بكثير من الذكاء الخارق، والكياسة الرائعة، وهنا يصل إلى تلك العبارات المليئة بالحقد والكراهية التي تعج بها أسفار التوراة عند كل مرة يرد فيها ذكر الكنعانيين، سكان البلاد الأصليين، فالتوراة لا تدعو لحربهم وحسب بل وتدعو إلى إبادتهم وإفنائهم أيضًا: " الرجال والنساء، الأطفال والشيوخ، يجب أن يقتلوا بحد السيف جميعًا، فلا يبقى منهم حي على الإطلاق.. كما أوصى الربّ عبده موسى [2]. هذا وفيما عدا ذلك تبقى هناك المعلومات التاريخية القيمة التي يعرضها الدكتور أحمد سوسة والتي يقرر على ضوئها أن كتابًا يوضع بعد ثمانية قرون من وقوع أحداثه يكون من الصعب عليه الاتصاف بالأمانة التاريخية، وهذا يعني: " أن مثل تلك الأوامر والتوصيات الخاصة بالإفناء وإبادة الجنس لا

(1) راجع رايخارت، " تاريخ فلسطين "، الطبعة البرتغالية، برشلونة 1973، ص 32.
(2) راجع على سبيل المثال، (عد، 31: 17.)؛ (يش، 11: 15.).

يمكنها، في حال من الأحوال، أن تتوافق مع شريعة موسى، تلك الشريعة التي أوحاها الله إليه قبل ثمانية قرون من تدوينها ".

وأنه لن يكون يوسع المرء إلا أن يعجب بسمو أخلاق ومناقب كاتب يثور على ما أتت به التوراة من مثل تلك القسوة والشراسة وعزوهما إلى الله (جل جلاله) وإرادته، فالدكتور سوسة يعلن عن ثورته تلك بقوله: " أن عزو مثل هذا العمل والوعد بـ " أرض كنعان " القائم على القتل وإبادة الجنس إلى الله (عز وجل)، إن هو إلا سبّة موجهة إلى ذات الله (جل جلاله)، كما أنه لا يمكن أن يكون هناك دين سماوي يأمر بإبادة الجنس البشري والفتك بالشعوب المسالمة البريئة "، إن هذا القول وحده كاف لإدانة كل مطلب من شأنه أن يجعل من دين التوراة دينًا عالميًا، ولا غرو فالإله (يهوى)، إله التوراة إن هو إلا " إله قبلي "، ينحصر واجبه بالعناية بقبيلته (الشعب اليهودي)، فهو يخولهم حق ارتكاب كل ما هو في مصلحتهم، من حصول على الغذاء والثراء، وامتلاك الأرض الخصبة والنساء، كما أنه يدافع عن تطلعاتهم وشهواتهم، المحق وغير المحق منها، إنه باختصار يبرر كل ما يرتكبه شعبه المختار، أو بتعبير آخر الشعب الذي أقامه إلهًا، من المعاصي.

ولكن، وحتى بعد الانتهاء من كتاب الدكتور أحمد سوسة، سنظل نواجه سؤالاً أساسيًا وحتميًا لم يحظ حتى يومنا هذا بالجواب الشافي، إنه السؤال القائل: " من هم اليهود؟ " ولعله يكون من الأسهل قول ما هم ليسوا منه إذ يبدو أنه أصبح من المؤكد الثابت بالبرهان القاطع، وليس نتيجة لبحث الدكتور أحمد سوسة وحسب، أن لا علاقة تربط بين اليهود وقبيلة إبراهيم الخليل عليه السلام التي ساهمت في الحل والترحال الآرامي، ولكن هلا توجد حقًا رابطة دم بين الموسويين واليهود؟ وهل كانت حقًا تلك الجماعة الخارجة من مصر حملة مصرية صرفة باتجاه الشمال كما يقول الدكتور أحمد سوسة؟ ثم ألا يجدر بنا أن نقدر للمؤرخين الرومان أقوالهم واعتباراتهم وهم الذين كانوا يعتبرون الخروج بمثابة إجلاء عصابة كبيرة من العناصر غير المرغوب فيها تتألف من طائفة من المحرضين المشاكسين ومن أقليات مثيرة للشغب ومن بقايا شعب موبوء وغير متجانسة! [1]، فما هي بالضبط اللحظة التي يمكن ابتداء منها الكلام عن اليهود

(1) راجع " تاريخ تاسبتس "، الكتاب الخامس، الفصل الثاني، راجع أيضًا " تاريخ بومبيوس تروغس "، الكتاب السادس والثلاثين، الفصل الثاني (رايخارت).

واستعمال " مصطلح يهودي "؟! وإنه لمن الغريب حقًا أن يبقى مثل هذا السؤال البدائي بغير جواب من أي نوع كان، إن نتائج بحث الدكتور أحمد سوسة الحالي تلقي أضواء جديدة على غالبية المسائل المعقدة ولا سيما تلك التي لها صلة بالعصور السامية القديمة، وإننا لنأمل من الدكتور سوسة أن تؤدي جهوده ودراساته التي لا تكل إلى حلول لجميع هذه المسائل في وقت قريب.

ويبقى هناك مجال بحث لم تنته بعد دراسته دراسة وافية، أعني به مجال تلك الثقافات والمدنيات الفلسطينية القديمة التي سبقت الغزو السامي وعلى رأسها تلك الثقافة التي يطلق عليها اسم " الثقافة الغسولية " [1]. ومما لا شك فيه أن تحديد

إن المؤرخين الرومانيين الذين يشير إليهما الدكتور رايخارت هما المؤرخ تاسيتس الذي عاش في أواخر القرن الأول الميلادي (55 - 120 ب.م) والمؤرخ بومبيوس تروغس الذي عاصر الإمبراطور أوغسطس (63ق.م - 14 ب.م) وهذا نص ما كتبه تاسيتس في هذا الصدد: " أن أكثر الكتاب متفقون على أن وباء وبيلا، كان يترك تشويهًا فظيعًا في الجسم تفشى في زمن ما في مصر.

وفيما كان الملك بوخاريس يفتش عن دواء لهذا الداء الوبيل، أشار عليه كهنة آمون بأن يظهر مملكته من الجنس الممقوت من الآلهة وينقلهم إلى بلد أجنبي، وعمل الملك بهذا الرأي= =وأجلاهم إلى خارج المملكة حتى وجدوا أنفسهم في صحراء، وبعد أن استولى عليهم اليأس ظهر من بينهم شخص يدعى موسى بعثته يد القدر الإلهية ليتولى قيادتهم وإنقاذهم مما كانوا عليه من شقاء وبؤس " تاريخ تاسيتس "، الترجمة الإنكليزية التي قام بها جورج وبرودريب، المطبوعة في لندن سنة 1888، ص 194). وقد أخذ بهذه النظرية، عدا تاسيتس وبومبيوس تروغس، " ليسيماوس "، (القرن الثاني ق.م). " مانيثون " (القرن الثالث ق.م) ن و " خاريمون " (أواسط القرن الرابع ق.م)، و " ديودورس الصقلي "، (القرن الأول ق.م.)، ولقد أشرنا إلى هذه النظرية في متن الكتاب. المؤلف.

(1) " الدور الغسولي " هو أحد الأدوار الحجرية في فلسطين، وقد سمى كذلك نسبة إلى مجموعة الهضاب المعروفة باسم " تليلات غسول " الواقعة في شرقي الأردن حيث اكتشفت، لأول مرة، بقايا حضارة عريقة في القدم.

وتعتمد حضارة هذا الدور الذي يعود إلى زمن العصر الحجري المعدني (الكالكوليثي أو البرونزي حوالي 4000 ق.م) عبر التطور الحضاري على ثلاث مكتشفات أو اختراعات أساسية هي:

1 - اكتشاف المعادن: الذهب والفضة والنحاس والقصدير والرصاص واستخدام الأفران الموقدة بالفحم الخشبي لصهرها.

2 - اختراع المحور الدوار أو اللولب.

التركيب العرقي للفلسطينيين المحدثين أصبح عسيرًا إذ أنه غدا أكثر تعقيدًا وأقل تجانسًا، ولا سيما إذا ما اعتبرنا العنصر غير السامي من العهدين الحجري النيوليثي والحجري المعدني (البرونزي) بمثابة الطبقة السفلى التي جاءت الغزوات اللاحقة المتعددة لتفرض عليها نفسها، وتأتي على رأس تلك الغزوات أهمية غزوات الأقوام السامية (العموريين، الكنعانيين، الأراميين، البابليين، الآشوريين وعناصر بشرية أخرى من جزيرة العرب).

ومن بعدها تأتي غزوات الشعوب الهندو - أوربية - (الحيثيين، الفلسطينيين، الفرس، اليونان، القفقاسيين، الرومان وآخرين) وبعدها ولكن على درجة أقل في الأهمية، تأتي غزوات المغول والترك الأخيرة، وأنه لمن غير الممكن الفصل بين جميع هذه العناصر المتنافرة تنافرًا شديدًا والعديمة التجانس، مما يوجب تحريها ودراستها، كل عنصر على انفراد، ولهذا السبب الأكبر وحده يجب أن نعلن عن فرحتنا بصدور كتاب الدكتور أحمد سوسة الذي يلقي الأضواء على الموضوع البالغ الأهمية: " موضوع مساهمة الشعب السامي في تاريخ الشرق وإرسائه أسس الحضارة الإنسانية ".

---

3 - اختراع مبادئ الكتابة.

أما عن سكان فلسطين الأصليين، فإنه من الصعب جدًا تحديد عرقهم بالضبط في الوقت الحاضر، شأنهم في ذلك شأن جميع السكان الأصليين في مختلف بلدان العالم، إذ أننا لا نمتلك اليوم أية معلومات ثابتة ومؤكدة عن هذا الدور الغسولي، وأن كل ما نعلمه عنه إنما هو من باب الحدس والتخمين.

وعلى العكس فقد أصبحت بحوزتنا حتى الآن معلومات وافية عن " الهجرات السامية من شبه جزيرة العرب إلى الهلال الخصيب "، جميعها ثابتة ومؤكدة استنادًا إلى النصوص والوثائق المكتشفة حديثًا، ولعله من المفيد في هذا الصدد ألا يغرب عن بالنا أن الساميين= =العرب هم مخترعو الأحرف الأبجدية وبها دونوا أخبارهم التي نقلها إلينا العلماء الآثاريون ملقين بذلك الضوء على الأحداث التاريخية الحقيقية.

وعلى العموم فإن جميع الوثائق التي بين أيدينا تشهد وتؤكد، بما لا يترك مجالاً للشك، أن العنصر السامي العربي هو العنصر الذي كان سائدًا في منطقة الشرق الأوسط، ومن ضمنها فلسطين، منذ مطلع الحقبة التاريخية التي تناولتها وحتى الوقت الحاضر باعتبار أن الأمة العربية الحالية إنما تؤلف العروق السامية من حيث أنها تمثل أولئك الساميين القدامى. المؤلف.

ترجمة طبق الأصل عن النص الإنكليزي

رولف بايخارت

* * *

تنبيه

أولاً: إن المراجع في موضع تاريخ اليهود كثيرة لا يحصى عددها نظرًا لتعدد من تناولوه بالبحث من مختلف الجنسيات وفي مختلف اللغات إضافة إلى اختلاف مشاربهم والتباين الشديد في وجهات نظرهم، إن أية محاولة للإلمام بجميع ما كتب في هذا المآل هي محاولة بعيدة عن مرمى الكتاب، وقد اقتصرنا على تدوين المراجع التي أشير إليها في المتن، في الملحق الثالث منه.

ثانيًا: يعتبر الكتاب المقدس، ترجمة وطبع الجامعة الأميركية في بيروت المرجع الأساسي لجميع الشواهد التوراتية وتجب العودة إلى هذا الكتاب في كل ما يختص بها فيما عدا الشواهد من سفري المكابيين، التي تجب مراجعتها في الكتاب المقدس، طبعة المطبعة الكاثوليكية في بيروت لسنة 1960، وذلك لأن هذين السفرين غير مذكورين في المرجع الأول.

ثالثًا: نظرًا لكثرة الاستشهادات التوراتية فقد اتبعنا في كتابها نفس الطريقة المختصرة المقررة في الكتاب المقدس المرجع، ترجمة وطبع الجامعة الأميركية في بيروت، والتي يمكن تلخيصها كالتالي:

1 - مقطوعات اختصار الأسفار المقدسة

أ- حسب تسلسلها في الكتاب المقدس

تكوين	تك	راعوث	را
خروج	خر	صموئيل	ا صم، 2 صم
لاويين	لا	ملوك	ا مل، 2 مل
عدد	عد	أخبار	ا أخ، 2 أخ
تثنية	تث	عزرا	عز
		نحميا	نح
يشوع	يش	طوبيا	طو
قضاة	قض	يهوديت	يهو
أستير	أس	زكريا	زك
أيوب	أي	ملاخي	ملا
مزامير	مز	مكابيين	8 مك، 2 مك
أمثال	أم	متى	مت

جامعة	جا	لوقا	لو
حكمة	حك	مرقس	مر
يشوع بن سيراخ	سي	يوحنا	يو
		أعمال	أع
أشعيا	أشر	رومية	رو
إرميا	إر	كورونثوس 1	كو، 2 كو
مراثي	مرا	غلاطية	غلغل
باروك	با	أفسس	أف
حزيقال	حز	فيليبي	في
دانيال	دا	كولوسي	كو
هوشع	هو	تسالونيكي 1	تس، 2 تس
يوئيل	يؤ	تيموثاوس ا	تي، 2 تي
عامو	عا	تيطس	تي
عوبيديا	عو	فلمون	فل
يونان	يون	عبرانيين	عب
ميخا	مي	يعقوب	يع
ناحوم	نا	بطرس 1	بط، 2 بط
حبقوق	حب	يوحنا ا	يو، 2 يو، 3 يو
صفنيا	صف	يهوذا	يه
حجي	حج	رؤيا	رؤ

ب - حسب التسلسل الأبجدي

ا أخ	أخبار الأيام الأول	أي	سفر أيوب
2 أخ	أخبار الأيام الثاني		
أر	نبؤة أرميا	با	نبوءة باروك
أس	سفر أستير	ا بط	رسالة القديس بطرس الأولى
أش	نبؤة أشعيا	2 بط	رسالة القديس بطرس الثانية
أع	أعمال الرسل	تث	سفر التثنية (تثنية

			الاشتراع)
أف	رسالة إلى أهل أفسس	ا تس	الرسالة الأولى إلى أهل تسالونيكي
أم	سفر الأمثال		
3 تس	الرسالة الثانية إلى أهل تسالونيكي	قض	سفر القضاة
		كو	رسالة إلى أهل كولوسي
تك	سفر التكوين	1 كو	الرسالة الأولى إلى أهل كورونثوس
تي	رسالة إلى تيطس		
1 تي	الرسالة الأولى إلى تيموتاوس	2 كو	الرسالة الثانية إلى أهل كورونثوس
2 تي	الرسالة الثاني إلى تيموتاوس		
جا	سفر الجامعة		
حب	نبوءة حبقوق	لا	سفر اللاويين
حج	نبوءة حجي	لو	الإنجيل حسب القديس لوقا
حز	نبوءة حزيقال	مت	الإنجيل حسب قديس متى
حك	سفر الحكمة	مر	الإنجيل حسب القديس مرقس
		مرا	مراثي إرميا
خر	سفر الخروج	مز	سفر المزامير
دا	سفر دانيال	1 مك	سفر المكابيين الأول
را	سفر راعوث	2 مك	سفر المكابيين الثاني
رو	رسالة إلى أهل رومية	1 مل	سفر الملوك الأول
رؤ	رؤيا القديس يوحنا	2 مل	سفر الملوك الثاني
		ملا	نبوءة ملاخي
زك	زكريا	مي	نبوءة ميخا

سي	سفر يشوع بن سيراخ	نا	نبوءة ناحوم
		نح	سفر نحميا
صف	نبوءة صفنيا	نش	سفر نشيد الأنشاد (الأناشيد)
1 صم	سفر صموئيل الأول	هو	نبوءة هوشع
2 صم	سفر صموئيل الثاني		
طو	سفر طوبيا	نش	سفر يشوع
عا	نبوءة عاموس	يع	رسالة القديس يعقوب
عب	رسالة إلى العبرانيين	يو	الإنجيل حسب القديس يوحنا
عد	سفر العدد	1 يو	رسالة القديس يوحنا الأولى
عز	سفر عزرا	2 يو	رسالة القديس يوحنا الثانية
عو	سفر عوبيدب	3 يو	رسالة القديس يوحنا الثالثة
غل	رسالة إلى أهل غلاطية	يؤ	نبوءة يوئيل
		يون	نبوءة يونان
فل	رسالة إلى فلمون	يهو	سفر يهوديت
في	رسالة إلى فيليبي	يه	رسالة القديس يهوذا
2 تس	الرسالة الثانية إلى أهل تسالونيكي	قض	سفر القضاة
		كو	رسالة إلى أهل كولوسي
تك	سفر التكوين	1 كو	الرسالة الأولى إلى أهل كورونثوس
تي	رسالة إلى تيطس		
1 تي	الرسالة الأولى إلى تيموثاوس	2 كو	الرسالة الثانية إلى أهل كورونثوس
2 تي	الرسالة الثانية إلى تيموثاوس		

جا	سفر الجامعة		
حب	نبوءة حبقوق	لا	سفر اللاويين
حج	نبوءة حجي	لو	الإنجيل حسب القديس لوقا
حز	نبوءة حزقيال	مت	الإنجيل حسب القديس متى
حك	سفر الحكمة	مر	الإنجيل حسب القديس مرقس
		مرا	مراثي إرميا
خر	سفر الخروج	مز	سفر المزامير
دا	سفر دانيال	1 مك	سفر المكابيين الأول
را	سفر راعوث	2 مك	سفر المكابيين الثاني
رو	رسالة إلى أهل رومية	1 مل	سفر الملوك الأول
رؤ	رؤيا القديس يوحنا	2 مل	سفر الملوك الثاني
		ملا	نبوءة ملاخي
زك	زكريا	مي	نبؤة ميخا
سي	سفر يشوع بن سيراخ	نا	نبؤة ناحوم
صف	نبؤة صفنيا	نح	سفر نحميا
1 صم	سفر صموئيل الأول	نش	سفر نشيد الأنشاد (الأناشيد)
2 صم	سفر صموئيل الثاني	هو	نبوءة هوشع
طو	سفر طوبيا	يش	سفر يشوع
عا	نبوءة عاموس	يع	رسالة القديس يعقوب
عب	رسالة إلى العبرانيين	يو	الإنجيل حسب القديس يوحنا
عد	سفر العدد	1 يو	رسالة القديس يوحنا الأولى
عز	سفر عزرا	2 يو	رسالة القديس يوحنا الثانية
عو	سفر عوبيديب	3 يو	رسالة القديس يوحنا

			الثالثة
غل	رسالة إلى أهل غلاطية	يؤ	نبوءة يوئيل
		يون	نبوءة يونان
فل	رسالة إلى فلمون	يهو	سفر يهوديت
في	رسالة إلى فيليبي	يه	رسالة القديس يهوذا

2 - طريقة كتابة وقراءة الشواهد التوراتية:

يتألف الشاهد التوراتي من ثلاثة أجزاء، يتألف الأول منها من إحدى المقطوعات المبينة في الجدول السابق وهو يدل على الكتاب، في جملة الكتب المقدسة، المطلوب مراجعته، والقسم الثاني يتألف من عدد يتألف من رقم حتى الثلاثة أرقام ويدل على الفصل (ويسمى إصحاحًا) المطلوب مراجعته في ذلك الكتاب، أما القسم الثالث فيتألف من رقم أو مجموعة أرقام مركبة وتدل على الآيات (وتسمى أعدادًا) المطلوب مراجعتها في ذلك الإصحاح من ذلك الكتاب، أما إذا أريد الدلالة على إصحاح بكامله فعندئذ يتبدل القسم الثاني ويصبح حرف (ص) ويصبح القسم الثالث عددًا يتألف من رقم إلى ثلاثة أرقام يدل على رقم الأصحاح المطلوب مراجعته، وإليك بعض الأمثلة:

1 - (تك، 25: 14.) راجع سفر التكوين الأصحاح الخامس والعشرين العدد 14.

2 - (ا أخ، 17: 6، 28.) راجع السفر الأول من أخبار الأيام، الأصحاح السابع عشر العددين 6 و 28 منه.

3 - (مز، 151: 5 - 12.) راجع المزمور المائة والحادي والخمسين، الأعداد من 5 إلى 12، العددين 5 و 12 ضمنا.

4 - (3 يو 12: 5، 7، 13، 22.) راجع رسالة القديس يوحنا الثالثة، الأعداد 5 و7 و13 و22 فيها.

5 - (2 مك، 19: 8 - 15، 21، 34.) راجع سفر المكابيين الثاني، الأعداد من 8 إلى 15، العددين 8 و 15 ضمنا ثم راجع العددين 21 و34 من نفس الأصحاح أيضًا.

6 - (2 صم، ص: 22.) راجع الأصحاح الثاني والعشرين من سفر صموئيل الثاني بكامله.

المؤلف

* * *

مدخل

حملتني على وضع كتابي هذا المعنون " العرب واليهود [1] في التاريخ " عدة حوافز، من أهما الإعزاز العميق لتراث العروبة والإسلام وحضارتهما، والإحساس بأن الأمة العربية هي بأشد الحاجة في هذا الظرف بالذات لإظهار حقيقة تاريخ اليهود القديم وصلتهم بفلسطين وتعريف القارئ بأصالة عروبة فلسطين منذ خمسة آلاف عام، ومع علمي بما ينطوي عليه هذا الموضوع من تفرعات شائكة وحساسة اختلف فيها الآراء وتضاربت فيها النزعات والميول، ومع علمي علم اليقين بأنه ليس من السهل تغيير المفاهيم التاريخية المتواترة منذ أكثر من ألفين وخمسمائة عام والتي تناقلتها الأجيال جيلاً بعد جيل بتأثير التوراة، فقد أقدمت عليه مستمدًا من المبادئ العلمية التي تستند إلى المنطق والعقل السليم الجرأة على خوض هذا الموضوع بغية التواصل إلى الحقيقة في مجال التفكير

(1) نقول هنا " اليهود " ولا نقول " بني إسرائيل "، لأن هذا البحث يقوم أساسًا على التمييز بين عصر موسى واليهود من جهة وبين عصر إبراهيم ويعقوب (إسرائيل) من جهة أخرى، لأنهما على ما نفهمه من التاريخ المبني على الاكتشافات الحديثة عصران منفصلان لا يرتبط الواحد منهما بالآخر بأية صلة من حيث أنه يوجد بينهما فاصل يمتد عبر الزمن أكثر من سبعمائة عام، كما سنوضح ذلك خلال هذا الكتاب، كما ونقول " العرب واليهود "، وليس " اليهود والعرب "، كما اعتاد الباحثون أن يفعلوا فيقدموا اسم اليهود على العرب في عناوين بحوثهم بمعنى أن اليهود هم الأقدم وأن العرب فرع متأخر (انظر على سبيل المثال عناوين كتب " ألم " (Alem) وكويتن (Goiten) وباركس (Parkes) في ثبت المراجع الأجنبية)، لأن العرب هم الساميون الأصل الذين أسسوا أقدم الحضارات السامية في الشرق الأدنى، أما اليهود فقد ظهروا في وقت متأخر ولم يتركوا أية حضارة قديمة خاصة بهم إذ أنهم اقتبسوا حضارة الكنعانيين، أهل البلاد الأصليين، ثم أخذوا بالعبرية المقتبسة من الآرامية (العربية الأصل).
ومن الغريب حقًا أن المؤرخين الغربيين أصبحوا بصورة لا شعورية، لا يتذكرون من أرض فلسطين إلا أنها " بلاد اليهود "، فهذا هو المؤرخ الشهير " ويلز " (Wells) على سبيل المثال، الذي يقول في كتابه الواسع الانتشار " معالم تاريخ الإنسانية " إن فلسطين هي بلاد الكنعانيين يعود ليسمّها " بلاد اليهودية ". وهذا إن دل على شيء إنما يدل على مدى تأثير الكتابات اليهودية على تفكير الباحثين والكتاب منذ أقدم العصور بحيث أصبح من العسير جدًا تغيير المفاهيم التي تواترت، عبر أكثر من ألفين وخمسمائة سنة على أسماع الناس، وهي ما تزال مقبولة منهم.

الإنساني القويم، ومما أعانني على التوغل في هذا البحث دراساتي الطويلة المتواصلة مدة أكثر من أربعين سنة لأصل الحضارات السامية في وادي الرافدين وعلاقتها بالريّ والزراعة، والمعلوم أن حضارة وادي الرافدين القديمة مرتبطة ارتباطًا كليًا بحضارة الشرق الأدنى من ضمنه فلسطين، كوحدة جغرافية واحدة لا تقبل الانفصال، وهل ننسى أن تحرير أرض فلسطين من اليهود بالقضاء على مملكتي إسرائيل ويهوذا قد تم على يد الآشوريين والكلدانيين الذين جاءوا من قلب العراق قبل أكثر من ألفين وخمسمائة سنة؟..

وهناك دافع آخر حملني على خوض هذا الموضوع، هو الصراع القائم منذ أقدم العصور ولا يزال قائمًا حتى هذا اليوم بين الشرق والغرب، بين الساميين العرب وبين الأمم غير السامية، ذلك الصراع القديم الذي بدأ بفلسطين منذ الحروب الصليبية وانتهى بفلسطين أيضًا حيث غرس الاستعمار إسرائيل في قلب الوطن العربي، وهذا الصراع عريق في القدم، فقد استقر السومريون غير الساميين منذ فجر التاريخ في جنوبي العراق وأسسوا أول حضارة في تاريخ الإنسانية، وعاش إلى جوارهم شمالاً الأكديون الساميون نازحين من شبه جزيرة العرب إثر الجفاف الذي حل بوطنهم، فاقتبس الساميون الكثير من أسباب الحضارة السومرية وثقافتها وديانتها، وهذا شأن الحضارات عبر التاريخ حيث تقتبس الواحدة من الأخرى مقوماتها الثقافية والدينية والاجتماعية في أكثر الحالات.

ودام هذا الصراع بين الأكديين الساميين النازحين من جزيرة العرب وبين السومريين غير الساميين عدة قرون تخلل احتكاك واختلاط بين العنصرين حتى تغلب الساميون الأكديون على السومريين وكونوا أول إمبراطورية في تاريخ الساميين، ثم تبعتها الإمبراطورية البابلية التي ظهر فيها الملك حمورابي المشرع الشهير وقامت بعدها الإمبراطوريتان الآشورية والكلدانية.

ولا يزال هذا الصراع بين الشرق والغرب مستمرًا حتى هذا اليوم صورة خفية أو علنية، فخلق لنا الغرب الحركة الأوربية الاستعمارية، وخلق إسرائيل شوكة في قلب الأمة العربية، وخلق القضية الفلسطينية التي لا تزال تدور في دوامة مفرغة من القلق والاضطراب.

فبدا لي وأنا أدرس تاريخ حضارات العراق القديم وصلته بالري والزراعة بأن تاريخ الساميين العرب يجب أن يكتب من جديد في ضوء المكتشفات الآثارية

الحديثة بلا تميز استعماري ولا تعصب عنصري على يد أبناء الأمة العربية، إن كل بلاد العالم هي التي تكتب تاريخها إلا الأمة العربية التي تركت للمستعمرين الأجانب أن يكتبوا تاريخها كما يشاؤون وفق رغباتهم ونزعاتهم السياسية.

كما أنه بدا لي أن اليهود كتبوا تاريخهم في بابل حين كانوا في الأسر، وكتبوه حسبما أملته عليهم أهواؤهم ونزعاتهم الدينية والسياسية، لذلك يجب أن يكتب هو الآخر من جديد في ضوء المكتشفات الآثارية والمصادر التاريخية.

كانت حصيلة هذا النزاع الفكري ظهور كتابي " العرب واليهود في التاريخ " الذي استعرضت فيه تاريخ الحضارة السامية العربية ودور جزيرة العرب في نشوئها، ثم استعرضت تاريخ اليهود القديم مستندًا إلى الحقائق التاريخية في ضوء المكتشفات الآثارية الحديثة.

وانطلاقًا من هذا الفكر نفسه أكد المؤتمر في المهرجان التكريمي الذي أقيم في بغداد مؤخرًا للعلامة توينبي في 25 - 1977/10/10 هذه الناحية بضرورة كتابة تاريخ الأمة العربية بروح موضوعي وبأسلوب علمي، وقد عقد هذا المؤتمر تحت شعار " المؤرخون العرب يؤكدون ضرورة كتابة تاريخ الأمة العربية بروح موضوعية وبأسلوب علمي " والأمل أن توضع هذه الأمنية حيز التنفيذ خدمة للتاريخ.

والبحث الذي أقدمه هو حصيلة تحقيق واجتهاد عمر كامل قضيت الشطر الأكبر منه في ملاحقة الحقيقة أينما وجدت وكيفما كانت.. وإني إذ أقدم هذا البحث أترك للقارئ أو الباحث أن يأخذ بما يقتنع به من الآراء الواردة في الكتاب أو يرفض ما لا يريد منها، إنما المهم هو أن نتجرد من العواطف والميول وأن نبحث هذا الموضوع الخطير بالطريقة العلمية ونركن إلى المنطق والعقل السليم في الاجتهاد والعمل للتوصل إلى الحقيقة التي ننشدها جميعًا، ومن القول الشريف: ♂للمجتهد إن أصاب أجران وإن أخطأ أجر واحد═.

لقد كتب كثيرون وبحث عديدون في تاريخ اليهود وفلسطين حتى أصبحت لدينا آلاف مؤلفة من الكتب والمعاجم والقواميس، وكلها تبحث في تاريخ اليهود وكتبهم المقدسة بحيث لا يخرج القارئ الغريب عن الموضوع إلا وقد انطبع في ذهنه بأن اليهود هم بناة الحضارة، وهم دعاة عقيدة التوحيد، وهم مؤسسو الثقافة العالمية إلخ.. والكتّاب الذين اندفعوا في هذا الاتجاه فريقان:

يتألف الفريق الأول: من رجال الدين، اليهود والنصارى، المتعصبين

للتوراة، وهم الأكثرية.

أما الفريق الثاني: فيتألف من علماء وكتّاب، انخرطوا في سلكهم، وكانوا قد أخذوا على عاتقهم تقصي الحقائق التاريخية لكن أكثرهم أصبحوا من غير أن يشعروا دعاة لليهود قبل أن يتوصلوا لأن يكونوا رواد علم وحقائق.

ومن الثابت أن سكان فلسطين الأصليين القدماء، وقد كانوا كلهم عربًا من العنصر السامي، هاجروا من جزيرة العرب إثر الجفاف الذي حل بها، فعاشوا في وطنهم الجديد " كنعان " أكثر من ألفي عام قبل ظهور النبي موسى وأتباعه على مسرح الأحداث، وقد أخذ الموسويون بعد ظهورهم في أرض كنعان بلغة الكنعانيين وثقافتهم وحضارتهم وتقاليدهم، هذه حقيقة تاريخية ثابتة، أيدتها المكتشفات الآثارية الأخيرة، وأخذ بها العلماء بالإجماع تقريبًا. إلا أن أكثر العرب الذين كتبوا في تاريخ حضارة العرب، لم يتناولوا هذا الدور في بحوثهم إلا عرضًا، ولعلّ مرد ذلك إلى اصطباغ مصادره بصبغة اختصاصية تنحصر بالبحوث الآثارية، لذلك انحصرت بحوثهم في عصور الجاهلية على الأكثر، تاركين بذلك فراغًا في تاريخ الأدب العربي يمثل طيلة فترة ما قبل النبي موسى، وهي الفترة التي عدّها اليهود بداية تاريخهم من غير أيّ سند علمي أو واقع تاريخي، وقد جاراهم في ذلك حتى الكتّاب العرب معتمدين على الكتابات اليهودية والأجنبية التي قبلوها على علاتها من غير تمحيص، ولقد صدق زميلي في الدراسة المجاهد العربي الأستاذ أكرم زعيتر حين قال: " إن إسرائيل قد استعانت على اغتصاب بلادنا بتزييف الحقائق أكثر مما عنينا نحن بإيضاحها ".

ولم يكتف اليهود بأن جعلوا تاريخهم يرجع إلى عهود قديمة لم يكن لهم أيّ وجود فيها، بل ساروا على هذا النحو في إرجاع لغتهم العبرية إلى عهود قديمة لم يكن لهم أيّ وجود فيها، فقد اعتبروا وجود لغتهم العبرية أي اليهودية قبل دخولهم أرض فلسطين في القرن الثالث عشر قبل الميلاد وأطلقوا عليها اسم " عبرية التوراة " (Heberw Biblical) في حين أن العبرية التي كتبوا بها التوراة مشتقة من الآرامية ولم تظهر إلا بعد مرور أكثر من ستمائة عام على دخول اليهود أرض فلسطين فكتبوا العهد القديم بها، والغريب أنّ أكثر الباحثين قد أخذوا بهذا التزييف للواقع التاريخي، على الرغم من اعتراف التوراة ذاتها بأن اللغة القديمة هي لغة

كنعان [1].

وفي أسطورة من أساطير " الزوهر " أن الاثني والعشرين حرفًا من الأبجدية العبرية (المقتبسة من الآرامية) نزلت من السماء قبل الخليقة بستة وعشرين جيلاً، وأنها نقشت بنار ملتهبة، والسؤال الذي يفرض نفسه هنا: " على من ولمن أنزلت تلك الحروف قبل أن توجد الخليقة؟ ".

وقد عبر الخبير القانوني هنري كتن عن تأثير الدعاية الصهيونية المضللة في الأوساط العالمية أحسن تعبير حين قال: " إن حقيقة مشكلة فلسطين قد ظهرت تحت أطباق التضليل المعتمد والوقائع الشائهة والدعاية المخادعة التي تراكمت على توالي الحقب، والمراقبون العدول، ومنهم الكنديون والسويديون والأمريكان، الذين أتيح لهم أن يعالجوا قضية فلسطين بوصفهم موظفين معتمدين من الأمم المتحدة، قد لاحظوا كيف كانت تشوّه الوقائع، كما لاحظوا صعوبة عرض وجهة النظر العربية أمام الرأي العام العالمي ". ومضى يؤكد " أن الصهاينة يملكون شبكة من وسائل الإعلام، صحافة، إذاعة وتلفزيون، في عدد من بلدان العالم، وأن جهاز الدعاية الصهيونية بكل تشعباته الكثيرة وبقوته الفائقة وتنظيمه الكفء وموارده المالية غير المحدودة وقدرته على أن يعمل داخل كل دولة باعتباره يمثل كيانًا داخليًا قوميًا، إنما يعدّ خطرًا على العالم، لأن قدرته على تزييف الأخبار هائلة ولأن في وسعه أن يقود الرأي العام العالمي وأن يضلله حسب هواه في أي أمر من الأمور، ويحمله على تأييد إسرائيل بغض النظر عن الحق والصواب والعدل " [2].

وبصدق ذلك بوجه خاص على الناحية التاريخية من كيان فلسطين القديم فالمكتبة العربية خالية من أية دراسة علمية تتسم بالحياد التام والحرص على إظهار الحقائق التاريخية بدون التعصب إلى أية جهة كانت، مما يدعو إلى ضرورة سد هذا الفراغ بدراسة علمية لتاريخ فلسطين القديم تساعد على إفهام هذه الناحية المهمة من واقعنا التاريخي وتراثنا العربي المجيد.

ومن أهم ما أبتغيه في بحثي هذا: هو تعريف القارئ بحقيقة تاريخ فلسطين القديم قبل ظهور النبي موسى وأتباعه على مسرح الأحداث ومن ضمن ذلك دور الحضارة العربية في تكوين المجتمع الفلسطيني القديم، وتصحيح الخطأ الشائع

(1) راجع (أش، 19: 18.).
(2)" فلسطين في ضوء الحق والعدل "، ص 149، 150.

الذي وقع في أكثر الكتاب والمؤرخين العرب من إرجاع تاريخ اليهود إلى عهود قديمة لم يكن لهم أي وجود فيها، وقد تقيدت، فيما كتبت، تقيدًا تامًا بالأسلوب العلمي مثبتًا المظان أينما استوجب ذلك، سوى الاستنتاجات والآراء الشخصية التي أبديتها استنادًا إلى تلك المظان، وأنا حينما أعرض آراء الباحثين الأجانب بوجه خاص وأشير إلى نظرياتهم المستندة إلى دراساتهم واكتشافاتهم الآثارية فيما يتصل بموضوع هذا البحث، وهي نظريات وآراء قد يكون فيها ما لا ينسجم مع التقاليد والمفاهيم الشائعة، إنما أقوم بذلك لاعتقادي بأنه لا يصح أن يبقى العرب في معزل عما يبحثه الأجانب في موضوع يتعلق بصميم حياة الأمة العربية وتاريخ فلسطين، وإني أرى أن الوقت حان لكي يدخل العرب حلبة المعركة العلمية ويناقشوا ويبحثوا هذه المواضيع التاريخية الحيوية بالطريقة العلمية التي هي طريقة هذا العصر، ومعالجة المواضيع بهذه الطريقة إنما تتطلب منّا أن نفتح صدرنا للحقائق التاريخية المستندة إلى التمحيص العلمي.

لقد أرجع بعض الباحثين تاريخ اليهود إلى زمن الأكديين في العراق، في حين أن الأكديين كانوا قد ظهروا قبل عصر النبي موسى بأكثر من ألفين وخمسمائة سنة، ذلك لأن الأكديين نزحوا من جزيرة العرب إلى شواطئ الفرات حوالي 4000 قبل الميلاد، أما اليهود أتباع موسى فإنما ظهروا في القرن الثالث عشر قبل الميلاد أي بعد الأكديين بـ 2700 سنة، وربط باحثون آخرون بداية تاريخ اليهود بزمن إبراهيم الخليل عليه السلام، في حين أنهم لم يظهروا إلا بعد إبراهيم الخليل بسبعمائة عام، وربط فريق ثالث تاريخ اليهود بزمن الهجرات السامية العربية إلى الهلال الخصيب، وهذه الهجرات إنما حدثت قبل وجودهم بنحو ألفي عام، لقد وقع هؤلاء جميعًا في هذه الأخطاء بسبب إهمالهم ملاحظة التسلسل الزمني، الذي تعمد كتبة التوراة إهماله، ليسهل عليهم ربط تاريخهم بعهود قديمة سبقت وجودهم، فأدخلوا التشويش على ذهن القارئ بحيث أصبح تائهًا بين العصور لا يدري أهو في عصر إبراهيم أم في عصر موسى ويشوع أم في عصر اليهود؟ ومن أهم مقاصد هذا البحث هو شرح الفارق الذي يميز بين عصر إبراهيم الخليل العربي وبين عصر موسى واليهود باعتدادهما عصرين منفصلين لا صلة للواحد بالآخر، وكذلك التمييز بين عصر موسى من جهة وعصر اليهود من الجهة الأخرى، وبذلك التمييز بين التوراة التي أنزلت على النبي موسى في القرن الثالث عشر قبل الميلاد وبين التوراة التي كتبها اليهود في الأسر بعد ثمانمائة عام من عهد موسى وبعد ألف وخمسمائة عام من عهد إبراهيم

الخليل ونسبوها إلى موسى وإبراهيم الخليل زورًا.

لقد كانت التوراة قبل الاكتشافات الآثارية الأخيرة المصدر الأساسي الذي يرجع إليه الباحثون في تدوين تاريخ فلسطين القديم ودور اليهود فيه باعتدادها أقدم كتابة في التاريخ القديم، فضلاً عن ادعاء قدسيتها، مما وضعها خارج نطاق التحليل التاريخي العلمي، وقد بقيت على هذا النحو قرونًا عديدة لانعدام الأدلة والبراهين القاطعة، حتى كشفت لنا الكتابات التي خلفها الأقدمون الذين سبقوا عهد التوراة - وهم السومريون والأكديون والكنعانيون (الفينيقيون) والحيثيون والبابليون والآشوريون والمصريون - عن كثير من الأمور الغامضة، وتمتاز هذه الكتابات في كونها عاصرت الأزمنة التي تعود إليها، بخلاف التوراة التي تنقل أحداثًا ترجع إلى عهود بعيدة وأزمنة سبقتها بعشرات القرون، ويعد العلماء هذه الكتابات، التي عثر على جزء قليل منها، أعظم إنجازات الإنسان في هذا العصر، وهذه المراجع تزودنا بالبراهين والبيّنات التي كانت تعوز من سبقنا من الباحثين لتقرير بعض الحقائق عن العصور التاريخية القديمة والخروج بها من دائرة الحدس والظن إلى استنتاجات معقولة ومقبولة من العقل السليم.

ومن أهم ما أوضحت لنا هذه الاكتشافات، المكاسب التاريخية العلمية الآتية:

1 - تشخيص أكثر مواقع المدن والأماكن التي ورد ذكرها في هذه المدونات القديمة وفي كتابات التوراة مع تحديد أزمانها.

2 - تعيين تواريخ الحوادث بصورة مضبوطة بحسب تسلسلها الزمني، وتوضيح علاقة الأقوام بعضها ببعض، وتعيين أدوارها وخاصة هجرة الأقوام بوجه عام وتطور ثقافتها ولغاتها.

3 - تتبع أزمان الهجرات السامية من جزيرة العرب إلى فلسطين وإلى بلاد الهلال الخصيب قبل ظهور النبي موسى.

4 - تعيين زمن الحوادث التاريخية الوارد ذكرها في التوراة بالقياس إلى الوقائع الحربية والسلالات الحاكمة في كل عصر من العصور بحسب تسلسلها الزمني.

5 - توصل الخبراء إلى أن الكثير مما ورد في التوراة من قصص وأساطير وشرائع يرجع إلى أصل قديم، وجد مثيله أو ما يشابهه في المدونات السومرية والأكدية والكنعانية والبابلية والآشورية والمصرية مما يدل على أنه ليس لليهود أدب مبتكر أو ثقافة خاصة بهم، " وإنما اقتبس كهنتهم من هذه المدونات كل ما ارتأوه

جديرًا بأن يحتويه تاريخ مؤسسي الجنس اليهودي، وحذفوا بلا هوادة كل ما لم يلق استحسانهم " [1].

6 - توصل الخبراء إلى أن مواد عديدة في التوراة مأخوذة من شريعة حمورابي والشرائع القديمة الأخرى، وأن أكثر التراتيل والتسابيح الدينية التي وردت في التوراة مقتبسة من الكنعانيين وقد عثر عليها في " فينيقيا "، ثم ترجمت في وقت لاحق من اللغة الكنعانية الفينيقية إلى العبرية وأدخلت في التوراة.

7 - توصل الخبراء إلى أن شرائع التوراة هي نفسها الشرائع التي كان يمارسها الكنعانيون والبابليون والمصريون من قبل وقد اقتبسها اليهود منهم ومارسوها ثم أدخلوها في كتبهم المقدسة.

8 - ثبوت كون اليهود غرباء دخلاء على فلسطين وأن كل ما يملكون من المقومات الثقافية، ومن ضمنها لغتهم وكتابهم المقدس، مقتبس من الحضارتين الكنعانية والأرامية وهما من أصل عربي، وأن الأسماء الواردة في التوراة، سواء كانت أسماء أشخاص أو أسماء أماكن قديمة في فلسطين، هي من أصل كنعاني أي سامي - عربي ترجع إلى ما قبل ظهور اللغة العبرية بزمن بعيد.

9 - ثبوت كون اليهود عاشوا في فلسطين وهم أقلية بين السكان الأصليين طيلة مدة مكوثهم فيها.

10 - ثبوت عجز اليهود في أي دور من أدوار التاريخ عن إنشاء دولة مدنية زمنية تضم كل فلسطين.

ويسود الشعور الآن بين الكتّاب المحدثين أن الوقت قد حان للكشف عن صلة الثقافة اليهودية، ومن ضمنها الديانة اليهودية، بالثقافات السامية القديمة، فيقول الأستاذ " هوك " في مقدمة كتابه " أصول الديانات السامية القديمة ": " إننا الآن في وضع أكثر ملاءمة من أي وقت مضى لتوضيح علاقة العناصر الأساسية للديانة اليهودية، بشبكة الشعائر الدينية التي كانت سائدة في البيئة السامية القديمة من وجهة نظر تاريخية جديدة ".

ونحن نقول: لقد آن الأوان للباحثين أن يتحروا من التقيد بمدونات التوراة في بحث التاريخ اليهودي، وأن عليهم أن يتوغلوا في أحدث الاكتشافات للنصوص القديمة التي سبقت عصر التوراة بعشرات القرون، فمهدت السبيل للتمييز بين

(1) انظر: أدوار كييرا، " كتبوا على الطين "، الترجمة العربية، ص 154.

الغث والسمين واقتفاء التواريخ بحسب تسلسلها الزمني، كما آن الأوان لكتابة تاريخ الأمة العربية من جديد في ضوء الاكتشافات الآثارية والتطور الفكري في العالم، فقد أصبحنا الآن بحكم الواجب القومي، مسؤولين أكثر من أي وقت مضى عن دعم الحركة الثورية العربية بدراسة علمية مجردة من الميول والعواطف نحو المسألة اليهودية تساعد على فهم طبيعة العدو بشكل يجعل الأمة العربية أكثر تيقظًا واستعدادًا لمجابهة الادعاءات الصهيونية الوهمية بالسلاح العلمي المبني على أسس رصينة موضوعية، ونرجو أن يكون هذا البحث محفزًا لبحوث أخرى تظهر تباعًا في العالم العربي لتنوير الرأي العام والجيل الجديد الذي ما يزال يتخبط في خضم مختلف الكتابات المشبعة بروح التعصب بدلاً من الحقائق التاريخية المجردة، إذ علينا أن نبرهن للعالم بالطريقة العلمية أن اليهود ليسوا أصحاب حضارة وأن الحضارة الفلسطينية التي ينسبونها لأنفسهم، بما فيها عقيدة التوحيد، هي حضارة سامية عربية كنعانية اقتبسوا منها لغتهم وديانتهم في وقت لاحق وأن كل ما ورد في توراتهم من وعود بمنحهم فلسطين باعتبارهم الشعب المختار وما شابه هذه الأساطير إن هي إلا من نسج الخيال ومن ترتيب كتبة التوراة بعد عصر النبي موسى بعدة قرون، وأن كل ما ورد في التوراة من الأسماء التي بنوا عليها أساطيرهم هي من أصل كنعاني وحتى إلههم (يهوه) لم يكن سوى كبير آلهة القينيين (والقينيون من القبائل العربية التي سكنت أرض مديان) وكل الوثائق والمكتشفات الآثارية التي بين أيدينا تدعم ذلك.

ويؤكد الدكتور أحمد شلبي الانحراف الذي غمر كتابات اليهود عن الأديان والحاجة إلى تصحيحها وتحقيقها فيقول: " إن أكثر الذين كتبوا عن الأديان هم من اليهود أو من تلاميذهم، فالمدرسة اليهودية عن الأديان سبقت كل المدارس تقريبًا وأثرت فيها، وقد أدى ذلك إلى كثير من الاضطراب العلمي، فاليهود استخدموا كل وسائلهم وكل مواهبهم لا ليخدموا الحق وإنما ليخدموا أهدافهم في فلسطين، فتركوا للناس تراثًا حافلاً بالانحراف يحتاج تصحيحه إلى جهد كبير "، ومضى يقول: " وليس الغربيون وحدهم هم الذين خدعهم ما كتبه اليهود، بل إن كثيرين من العرب والمسلمين خدعوا أيضًا " [1].

وقبل الدخول في هذا البحث لا بدَّ من توضيح نقطة مهمة تتعلق بأربع تسميات سوف تعترضنا في مجرى الحديث وقد جرت العادة على اعتبارها أربع

(1) الدكتور أحمد شلبي، " مقارنة الأديان اليهودية "..

تسميات لمسمّى واحد ذات مدلول واحد يمثل جميع الأدوار دون تمييز، في حين أن كلا منهما تمّ تداوله في عصر خاص به وله مدلوله الخاص أيضًا، ويختلف عما هو مقصود به في التسميات الأخرى، ونعني بها: العبرانيين أو العبريين، ثم الإسرائيليين، فالموسويين (قوم موسى)، فاليهود.

1 - أما مصطلح " العبري " أو " العبراني " فكان يطلق في نحو الألف الثانية قبل الميلاد وفيما قبل ذلك على طائفة من القبائل العربية في شمال جزيرة العرب في بادية الشام وعلى غيرهم من الأقوام العربية في المنطقة حتى صارت كلمة عبري مرادفة لابن الصحراء أو ابن البادية بوجه عام، وبهذا المعنى وردت كلمة " الابري " و " الهبيري " و " الخبيرو " و " العبيرو " في المصار المسمارية والفرعونية، ولم يكن للإسرائيليين والموسويين واليهود أي وجود بعد، لذلك فإن نعت إبراهيم الخليل بـ " العبراني " كما ورد في التوراة إنما أريد به معنى العبريين " الغبيرو " وهم القبائل البدوية العربية، ومنها القبائل الأرامية العربية التي ينتمي إليها إبراهيم الخليل نفسه، وبهذا المعنى وردت كلمة " عبري " و " عبيرو " و " خبيرو " في الكتابات القديمة التي اكتشفت مؤخرًا، وهي تعود إلى ما قبل وجود الإسرائيليين والموسويين واليهود بعدة قرون، لذلك يجب التمييز بين العبري من جهة وبين الإسرائيلي أو الموسوي أو اليهودي من جهة أخرى في بحث تاريخ فلسطين القديم، ودليلنا على ذلك أن مصطلح " عبري " أو " عبراني " لم يرد في القرآن الكريم مطلقًا وإنما ورد فيه ذكر " الإسرائيليين " و " قوم موسى " و " يهود " (الذين هادوا)، ويتضح من ذلك أن عصر إبراهيم الخليل هذا هو عصر عربي قائم بذاته ليست له أية صلة بعنصر اليهود، وقد نبه القرآن الكريم إلى هذه الناحية بقوله:{ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجۡتُمۡ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيّٗا وَلَا نَصۡرَانِيّٗا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفٗا مُّسۡلِمٗا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٦٧﴾} [آل عمران: ٦٥ - ٦٧]، أمّا كلمة عبري للدلالة على اليهود فقد استعملها الحاخامون بهذا المعنى في وقت متأخر في فلسطين [1].

(1) دائرة المعارف البريطانية، طبعة 1965، ج11، ص 379.

2 - أما مصطلح " إسرائيل " فالمقصود به يعقوب حفيد إبراهيم الخليل وأبناؤه هم بنو إسرائيل الذين ورد ذكرهم في الأسفار ودورهم محصور في منطقة " حاران " (حرّان حاليًا) حيث وطنهم الأصلي الذي ولدوا ونشأوا فيه، أما فلسطين فهي أرض غربتهم وقد وجدوا في القرن السابع عشر قبل الميلاد، وهو نفس عهد إبراهيم الخليل، وكانت اللغة في هذه المنطقة في ذلك الزمن لغة واحدة (اللغة الأم) التي كان يتكلم بها أهل الجزيرة العربية قبل هجرتهم إلى الهلال الخصيب، أي قبل أن تتفرق هذه اللغة إلى اللهجات المختلفة كالكنعانية والآرامية والعمورية وغيرها، وهكذا كانت لغة العشائر الآرامية التي كان ينتمي إليها إبراهيم الخليل هي نفس اللغة التي كان يتكلم بها الكنعانيون والعموريون في فلسطين وهي قريبة جدًا من اللغة الأم، وأما حفيده يعقوب (إسرائيل) فالأرجح أنه كان يتكلم نفس اللغة وهو أرامي مثل إبراهيم بحكم النسب، كما أنه من الأرجح أن أبناء يعقوب (بني إسرائيل) في زمن يعقوب كانوا يتكلمون نفس اللغة، وهذا ما يمكن تسميته بالدور الأول الذي عاش فيه إبراهيم الخليل وإسحاق ويعقوب وأبناؤه، وهؤلاء كلهم كانوا يدينون بدين إبراهيم الخليل وحفيده يعقوب، وقد أظهرت الاكتشافات الأخيرة أن كلمة (إسرائيل) كانت اسمًا لموضع في فلسطين وهي تسمية كنعانية، وبهذا المعنى وردت في الكتابات المصرية التي ترجع إلى ما قبل عصر موسى، كما أن أسماء أبرام (إبراهيم) ويعقوب ويوسف وردت في الكتابات المصرية وهي تعود إلى ما قبل عصر موسى مما يدل على أنها كنعانية أيضًا.

ومن المهم ذكره في هذا الصدد أن فلسطين كانت أرض غربة بالنسبة إلى إبراهيم وولده إسحاق وحفيده يعقوب (إسرائيل)، وذلك بتأكيد التوراة ذاتها، لأنهم كانوا مغتربين بين الكنعانيين سكان فلسطين الأصليين وبخاصة بني إسرائيل الذين ولدوا جميعهم في " حاران " ونشأوا فيها كما تقدم.

وقد انتهى هذا الدور الذي ظهرت فيه تسمية " إسرائيل " بعد أن هاجرت أسرة يعقوب إلى مصر وانضمت إلى يوسف على قول التوراة، فاندمجت وذابت في البيئة المصرية كليًا.

3 - ثم جاء الدور الذي يبدأ بتداول تسمية موسوي أو " قوم موسى "، والقوم مصطلح عام للدلالة على جماعة من الناس، ويبدأ هذا الدور بعد الدور الذي تداولت فيه تسمية إسرائيل بزهاء ستمائة عامة.

4 - أما تسمية " يهود " فهي التسمية التي أطلقت على بقايا جماعة يهوذا الذين سباهم نبوخذنصر إلى بابل في القرن السادس قبل الميلاد، وقد سموا كذلك نسبة إلى مملكة يهوذا المنقرضة، وقد اقتبس هؤلاء قبيل السبي لهجتهم العبرية المقتبسة من الآرامية وبها دونوا التوراة التي بين أيدينا في الأسر في بابل، أي بعد زمن موسى بثمانمائة عام، لذلك صارت تعرف هذه اللهجة " بآرامية التوراة "، وقد استعملوا الحرف المسمى بالربع وهو مقتبس من الخط الآرامي القديم، وهذه بلا شك غير الشريعة التي أنزلت على موسى، ويمكن أن نطلق عليها اسم " توراة اليهود " لتمييزها عن " توراة موسى ". وكان هؤلاء اليهود، عندما دوَّنوا التوراة، قد استهدفوا تحقيق غرضين رئيسيين، أولهما تمجيد تاريخهم وجعل أنفسهم صفوة الأقوام البشرية والشعب المختار الذي اصطفاه الرب من دون بقية الشعوب، ولتحقيق ذلك كان لابد من إرجاع أصلهم إلى أقدس شخصية قديمة، أي شخصية إبراهيم الخليل الذي كان صيته قد عّم جميع أرجاء عالمهم في تلك الأزمان، وقد حالفهم النجاح في سرد تاريخهم حسب أهوائهم بلباقة ومهارة لم يسبق لهما نظير في الأدب القديم، وأضفوا عليه صبغة دينية ليضمنوا تقبله من أتباعهم، وهكذا فقد أرجعوا تاريخهم إلى إبراهيم الخليل وإلى حفيده يعقوب (إسرائيل)، فسموا جماعة موسى ببني إسرائيل على الرغم من كونهم ظهروا بعد إسرائيل بزهاء ستمائة عام، وذلك بغية ربط أصلهم بإبراهيم الخليل، وابتدعوا فكرة الشعب المختار التي كان إبراهيم الخليل ويعقوب وموسى بريئين منها، ثم جعلوا بني إسرائيل الموضوع الرئيسي الذي تدور حوله جميع الحوادث الواردة في التوراة، فعدتهم التوراة موجودين في كل زمان وفي كل مكان حتى في الأدوار التي سبقت ظهور يعقوب إلى عالم الوجود، فقد اعتبرت وجود بني إسرائيل في عصر إبراهيم الخليل في القرن التاسع عشر قبل الميلاد قبل أن يخلق يعقوب (إسرائيل)!! كما أنها عدت وجودهم بعد عهد أبيهم يعقوب بحوالي ستمائة عام، أي في عهد موسى عندنا دخلت جماعته أرض كنعان (فلسطين) خارجة من مصر في القرن الثالث عشر قبل الميلاد، ثم اعتبرت وجودهم في جميع الدوار والأحداث التالية ومن ضمنها عهد الملوك وعهد الانقسام وما تلا ذلك، وحتى يهود الخزر الذين اعتنقوا اليهودية في وقت لاحق وهم من أصل تركي وكذلك يهود أوروبا وأمريكا ويهود العالم جميعًا هم على رأي التوراة نفس أبناء يعقوب الذي عاش قبل 3700 سنة، فما أغرب هذا المنطق!! والأغرب من هذا كله هو أننا نجد الكثير من العلماء والباحثين ممن يتقبل مثل هذا الخلط.

أما الهدف الثاني فهو جعل فلسطين وطنهم الأصلي على الرغم من تأكيد التوراة ذاتها أن فلسطين هي أرض غربة بالنسبة لإبراهيم وإسحاق ويعقوب وبخاصة أبناء يعقوب (إسرائيل) الذين ولدوا في حران ونشأوا فيها، هذا إذا فرضنا أن قوم موسى هم بنو إسرائيل حقًا كما سمتهم التوراة، وهكذا فقد ابتدع مدونو التوراة فكرة منح الرب أرض كنعان إلى إبراهيم وذريته وأن الرب (إلههم يهوه الخاص بهم) قد أمرهم بإبادة الكنعانيين هم وأطفالهم وشيوخهم ونساؤهم ليحلو محلهم، هذا هو الدين الذي جاء به كتبة التوراة ونسبوه إلى إبراهيم وإلى يعقوب وإلى موسى زورًا، وهؤلاء هم اليهود الذين سمّاهم القرآن الكريم كفارًا لكذبهم على موسى وتحريفهم لتوراته فيقول فيهم:{ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾} [آل عمران: ١١٢]، وهكذا فقد فرق القرآن الكريم بين بني إسرائيل وذرية إبراهيم الخليل من جهة وبين اليهود المتأخرين من جهة أخرى، وذلك باستعمال اسمين لهما، فأطلق اسم " بني إسرائيل " في مواضع الرضا وسمّوا " باليهود "، في حالات السخط عليهم.

يتناول هذا الكتاب بوجه خاص بحث تاريخ الفترة التي عاشتها فلسطين العربية قبل عهد النبي موسى - وهي الفترة التي ظهر فيها إبراهيم الخليل عليه السلام وعمّتها الحضارة الكنعانية أكثر من ألفي سنة، هذا مع توضيح حقيقة علاقة اليهود بفلسطين وحضارتها بعد ظهورهم على مسرح الأحداث في زمن النبي موسى وما بعده.

ويقوم هذا البحث على أساس تقسيم الأحداث التاريخية إلى ثلاثة أدوار منفصلة، الواحد عن الآخر بالقياس إلى علم المقارنة بين اللغات، وهو المعيار الذي يعتمد عليه العلماء في هذا العصر في تعيين أصول الأقوام وصلاتها بعضها ببعض، وهذه الأدوار هي:

أولاً: عصر إبراهيم الخليل وإسحاق ويعقوب ويرجع تاريخه إلى القرن التاسع عشر قبل الميلاد، وهو عصر عربي بحت قائم بذاته بلغته وقوميته وديانته، وهو مرتبط بالجزيرة العربية وبلغتها الأم وبقبائلها التي سميت فيما بعد بالعرب البائدة لانقراضها، ولا صلة له بعصر موسى الذي يأتي في وقت لاحق بعد عصر إبراهيم الخليل بسبعمائة عام، كما أنه لا صلة له بعصر اليهود الذي

يأتي بعد عصر إبراهيم الخليل بحوالي ألف وخمسمائة عام، وقد كانت القبائل العربية المعروفة بالقبائل البائدة آنئذ في قيد الحياة في جزيرتهم في هذا العهد وقد لعبت دورًا مهمًا في تنمية الحضارة العربية السامية، ومن أهم هذه القبائل المعنية في جنوب الجزيرة التي توسعت في مستعمراتها التجارية بعيدًا نحو الشمال، ويذهب مؤرخو العرب إلى أن القبائل البائدة أو العرب العاربة، والقبائل الآرامية التي كان ينتمي إليها إبراهيم الخليل تعود إلى أصل واحد، فكانوا ينسبون شعوب العرب البائدة جميعًا إلى إرم ويسمونهم بالآرمان كما جاء في " تاريخ سني الملوك " لحمزة الأصفهاني، وقد نبّه القرآن الكريم على ذلك بربط صلة إبراهيم الخليل بالجزيرة العربية وبيت الله العتيق، وليس بفلسطين التي كان مغتربًا فيها بتأكيد التوراة ذاتها، لذلك فلا صلة لعصر إبراهيم الخليل ويعقوب (إسرائيل) بعهد موسى الذي يرجع إلى زمن لاحق يفصل بينهما فاصل يمتد عبر الزمن حوالي سبعمائة عام، والدليل على أن عهد إبراهيم الخليل ويعقوب عهد مستقل لا صلة له بعهد موسى، أن الآثاريين ميزوه عن الأدوار التالية وأطلقوا عليه تسمية " عصر الآباء الجوالين " - (Patriarchs of nderingse waTh) ومن المهم ذكره في هذا الصدد أن القرآن الكريم كان أول من كشف لنا عن هذه الحقيقة، وقد جاءت المكتشفات الآثارية حول الهجرات السامية ودراسة علم المقارنة بين اللغات مؤيدة لهذه الحقيقة نفسها التي تربط صلة إبراهيم الخليل بجزيرة العرب وبالحجاز.

إن أرض كنعان (فلسطين) باعتراف التوراة ذاتها كانت أرض غربة بالنسبة إلى آل إبراهيم وآل يعقوب، إذ كانوا مغتربين في أرض فلسطين بين الكنعانيين سكانها الأصليين، والتوراة تتحدث عنهم بصفتهم غرباء وافدين طارئين على فلسطين، أما وطنهم الأصلي فهو " أرام النهرين "، أي منطقة حاران (حرّان الحالية)، حيث كانت العشائر الآرامية التي ينتمون إليها قد استقرت في منابع نهر البليخ بعد هجرتها من الجزيرة العربية، ثم نزحت فروع من هذه القبائل إلى جنوبي العراق (منطقة بابل) فكان إبراهيم الخليل من ذريتها.

وبعد أن انحرف اليهود عن ديانة موسى بعد عهد موسى عبدوا الأوثان، ثم ابتدعوا الإله " يهوه "، عندما دوّن الكتبة التوراة، إلهًا خاصًا بهم، إلهًا لا يهمّه من العالم والخلق غير اليهود (شعبه المختار)، على غرار مبدأ التفريد (Henotheism) الذي اعتنقته الأقوام القديمة حين كانت القبيلة أو المدينة تعبد إلهًا واحدًا من بين مجموعة الآلهة من غير أن تنبذ عبادة الآلهة الأخرى،

والأرجح أن اليهود أخذوا بهذا المبدأ من البابليين عندما دونوا توراتهم في الأسر في بابل، إذ كانت كل مدينة من المدائن البابلية تختص بإله واحد من بين مجموعة الآلهة.

ويذكر اليهود في كتبهم التي يعلمونها للنشئ الجديد أو التي ينشرونها بين الناس عن تاريخهم " أن الشعب اليهودي نزح إلى فلسطين من بلاد الرافدين في حدود الألف الرابعة قبل الميلاد بقيادة إبراهيم الخليل ولم يكن عددهم آنذاك يتجاوز أربعة آلاف شخص " [1]، وهذه المفاهيم نفسها تدرس اليوم في الجامعات والكليات الأوروبية والأمريكية لأن الأساتذة الذين يضعون كتب التاريخ القديم هم من اليهود أو من المسيحيين المتعصبين للتوراة، وقد قبل العرب هذا الهراء على علاته وصاروا يرددون ذلك دون تمحيص أو دون أن يقفوا لحظة واحدة ليفكروا ويسألوا أنفسهم: أين كان اليهود في عصر إبراهيم الخليل؟، وكيف تمَّ التوصل إلى إحصاء عددهم الذي هو أربعة آلاف شخص في حين أن اليهود لم يظهروا إلى عالم الوجود إلا بعد الألف الرابعة قبل الميلاد بـ 2700 سنة.

ويدعي اليهود أن تاريخهم في فلسطين يرجع إلى خمسة آلاف عام وأن العرب لم يدخلوا إلا بعد الفتح الإسلامي وهذا يشكل أكبر تزييف للواقع التاريخي، وفي هذا الموضوع يقول العقاد: " ومن أقوال اليهود أن العرب فتحوا فلسطين بعد قيام الدعوة الإسلامية وأنه لم يكن لهم وجود فيها قبل النبي محمد (عليه الصلاة والسلام)، وقد نجح دعاة الصهيونية في الترويج لهذه الخرافة حتى صدقها الكثيرون من الأوروبيين والأمريكان، بل ونجحوا فيها حتى صدقها أناس من العرب أيضًا، فسمعنا من يقول منهم في أمريكا أن شأن اليهود في فلسطين كشأن الهنود الحمر في القارة الأمريكية " [2]. لذلك فإنه يتوجب على المسؤولين في البلاد العربية أن يعملوا على حشد الجهود في سبيل تربية الجيل الجديد تربية قومية صحيحة عن طريق إعادة النظر في تاريخنا القومي الذي يظهر تاريخ فلسطين القديم على حقيقته وحقيقة علاقة اليهود به، وهذا لن يتم إلا بإدخال هذا الموضوع في جملة المواد الواجب تدريسها ضمن مناهج التعليم في جميع البلاد العربية وإعداد كتب

(1) راجع سولوف، " كيف نما الشعب اليهودي؟ ".
Mordecai I.Soloff, "How the Jewish people grew up?".
(2) العقاد، " الصهيونية وقضية فلسطين "، ص 123.

خاصة لتدريس هذه المادة في المدارس بحيث تظهر تاريخ فلسطين القديم على حقيقته وإصدارها بمختلف اللغات كرد على هذه الادعاءات الزائفة.

ثانيًا: عصر موسى ويبدأ في القرن الثالث عشر قبل الميلاد وهو عصر متصل بمصر، قائم بذاته أيضًا بلغته وثقافته وديانته، ويشتمل على الفترة التي عاشها النبي موسى على أرض كنعان مع أتباعه، ثم الفترة التي استغرقتها عملية تحول الموسويين من المصرية إلى الكنعانية بعد زمن موسى وانحرافهم عن دين موسى، وهي الفترة التي يمكن أن نطلق عليها تسمية الفترة المصرية الكنعانية، وقد دامت هذه الفترة حوالي ثمانمائة عام بدأت في القرن الثالث عشر قبل الميلاد وانتهت بالسبي البابلي في القرن السادس قبل الميلاد، وهنا لابد من التوضيح أن عصري الملوك والانقسام كانا خاضعين لسيادة الثقافة الكنعانية بدليل أن الديانة الوثنية الكنعانية، بقيت هي السائدة في البلاد، وليس لدينا أي دليل على أنه كانت في البلاد في هذين العصرين غير ثقافة الكنعانيين القديمة في فلسطين، لأن العبرية تكونت في وقت لاحق عندما بدأ الكهنة يدونون التوراة باللهجة المعروفة بآرامية التوراة وهي مقتبسة من الآرامية، وذلك بين القرنين السادس والرابع قبل الميلاد، علمًا بأن الموسويين صاروا يتكلمون بالكنعانية التي اقتبسوها من الكنعانيين بعد نزوحهم إلى كنعان، ثم أخذوا يتكلمون بالآرامية أسوة ببقية الأقوام في فلسطين بعد انتشار اللغة الآرامية في جميع الشرق الأدنى، ومعنى ذلك أنه لا توجد أية لغة خاصة باليهود وإن ما يسمى بالعبرية بمعنى اليهودية هو لهجة متأخرة مقتبسة من الآرامية (العربية الأصل) شأنها في ذلك شأن جميع اللهجات الأخرى التي تكونت في وقت لاحق من اللغة الأم الأصلية.

ثالثًا: عصر اليهود ويبدأ في القرن السادس قبل الميلاد في أعقاب السبي البابلي، وهو عصر يهودي بحت قائم بذاته أيضًا بلغته وثقافته وديانته ويمثل بداية اليهودية، إذ تبدأ الديانة اليهودية الحالية بكتابة التوراة على يد الكهنة في الأسر في بابل وما بعد الأسر في اللغة التي صارت تعرف بالعبرية (آرامية التوراة)، وهذه هي التوراة التي بين أيدينا اليوم وهي غير التوراة التي أنزلت على موسى باللغة المصرية قبل ثمانمائة عام من عصر اليهود هذا.

ويحسن بالقارئ أن يلاحظ هذه الأدوار الثلاثة بالقياس إلى اللغة والثقافة حسب أزمانها عند متابعة هذا البحث ليكون على بيِّنة من الزمن الذي ينتمي إليه كل حادث من الأحداث التاريخية لأن كتبة التوراة تعمدوا الخلط بين الأدوار التاريخية وإهمال

التسلسل الزمني فربطوا العصور بعضها ببعض وذلك لكي يرجعوا تاريخهم إلى عصور لم يكن لهم أي وجود فيها فيلتبس الأمر على القارئ، وهذه الأدوار هي كما تقدم:

أولاً: عصر إبراهيم الخليل ويرجع تاريخه إلى القرن التاسع عشر قبل الميلاد، ولغة هذا العصر اللغة السامية العربية الأم والديانة وحدانية إبراهيم الخالصة.

ثانيًا: عصر موسى ويرجع تاريخه إلى القرن الثالث عشر قبل الميلاد، ولغة هذا العصر اللغة المصرية في بداية الأمر ثم الكنعانية.

ثالثًا: عصر اليهود ويرجع تاريخه إلى القرن السادس قبل الميلاد، ولغة هذا العصر الآرامية والعبرية (آرامية التوراة) التي كتبت بها التوراة، أما الديانة فوحدانية (يهوه) الخاصة باليهود فقط، وتبدأ اليهودية المتمثلة بالتوراة ببداية هذا العصر.

* * *

يقع هذا الكتاب في ثمانية فصول، شرحنا في الفصلين الأول والثاني، الدور الرئيسي الذي لعبته شبه جزيرة العرب في تأسيس الحضارة السامية العربية في الشرق الأدنى القديم ومن ضمنه فلسطين، وذلك قبل ظهور اليهود إلى عالم الوجود بأكثر من ألفي سنة، نتيجة لهجرات جماعات من سكان جزيرة العرب إلى الهلال الخصيب على هيئة موجات متتالية تبدأ حسب تقدير العلماء في حوالي الألف الثالثة قبل الميلاد، مع أن بعض الباحثين يحدد بداية هذه الهجرات بالألف الرابعة قبل الميلاد، وربما قبل ذلك. ويرى الباحثون في أصول أقوام الشرق الأدنى أن أسلاف هذه الجماعات كانوا يتمتعون بحضارة قديمة في الطرف الجنوبي من شبه جزيرة العرب، وقد كانت بلادهم في تلك الأزمان عامرة بأنهارها الدائمة الجري وبأمطارها الغزيرة الدائمة، إلا أنها تعرضت إلى تغيرات مناخية في نهاية العصر الجليدي الأخير في حدود سنة 20.000 قبل الميلاد، الأمر الذي أدى إلى انحباس الأمطار واندثار الأنهار، فأخذ الجفاف ينتشر منذ ذلك الحين في النطاق الصحراوي الحالي مما اضطر الإنسان والحيوان إلى الهجرة إلى أماكن ذات موارد مائية دائمة، فكان أن توجه سكان الجزيرة إلى الشمال، ثم أخذوا يتوزعون على أطراف الجزيرة داخل الهلال الخصيب في موجات متعاقبة، فمنهم من توجه غربًا نحو طور سيناء وأطراف وادي النيل

(الشرقي الأسفل)، ومنهم من استقر في فلسطين وفي سورية وفي لبنان وصاروا يعرفون بالكنعانيين - الفينيقيين والعموريين - العمالقة.

وهكذا فقد كانت هذه الهجرات المتتالية من أهم العوامل لتنمية الكيان الحضاري السامي العربي في الشرق الأدنى والسير به نحو التقدم والتطور في مختلف الميادين، هذا الكيان الذي انبثقت منه أقدم وأعظم الإمبراطوريات التي عرفها العالم في تاريخ البشرية، أي الإمبراطوريات الساميات الأربع: الأكدية، والبابلية، والآشورية، والكلدانية، ثم تلتها الممالك العربية التي أسسها الأنباط فالتدمريون ومن بعدهم الغساسنة والمناذرة على أطراف الصحراء العربية وأخيرًا الإمبراطورية العربية الإسلامية التي عمت الأشراق الثلاثة: الأدنى والأوسط والأقصى.

وفي الفصلين الثالث والرابع عرض لتاريخ الديانة اليهودية، ثم شرح لنص التوراة في ضوء المكتشفات الآثارية التي تبرهن على أن التوراة التي بين أيدينا كتبت في عهد متأخر بعد عصر النبي موسى عليه السلام بعدة قرون وأنها مقتبسة من الديانات الكنعانية والبابلية والمصرية، فهي لذلك غير التوراة التي أنزلت على النبي موسى، أما الفصل الخامس فيبحث في عصر إبراهيم الخليل وإسحاق ويعقوب عليه السلام، والذي يعتبر عصرًا عربيًا يرتبط بالجزيرة العربية ولا صلة له بعصر موسى واليهود، وفي الفصل السادس بحث عن ظهور النبي موسى وصلته بمصر ونزول شريعته ثم الأحداث التي تلت عصره والتي تبرهن على أن ظهوره وظهور اليهود بعده لم يكونا إلا حدثًا متأخرًا بالنسبة إلى تاريخ الأقوام السامية العربية التي سبقتهم في استيطان فلسطين، والفصلان الأخيران، السابع والثامن، يبحثان في يهود العالم وصلتهم بفلسطين ثم دور الصهيونية والاستعمار في " خلق إسرائيل "، وقد أضيفت إلى الكتابة سبعة ملاحق، يتناول الملحق الأول " تاريخ أورشليم في أقدم عصورها، والثاني يشتمل على مسلسل عام بالحوادث التاريخية الهامة منذ أقدم العصور وحتى الفتح الإسلامي، أما الثالث فيشتمل على المراجع العامة والرابع على معجم الأعلام والأقوام والبلدان وبعض المصطلحات الغربية التي ارتأينا ضرورة شرحها في هذا المقام، والخامس يشتمل على الفهرس العام والسادس على باب سؤال وجواب يتضمن ردودًا على أسئلة القراء في موضوع الكتاب، وأما السابع فإنه يتضمن قائمة كتب المؤلف.

أحمد سوسة